معركة «ثأر الأحرار» في المنظور الاستراتيجي الأميركي

عمرو علان
كاتب ومحلل سياسي

يقال إن الاحتلال لطالما أتمّ انتخاباته عبر الخوض في الدم الفلسطيني والدم العربي، وإنه دأب على حلّ أزماته الداخلية من خلال تصديرها إلى الخارج بواسطة اعتداءاتٍ طالت كل دول الطوق تقريباً، وهذا كان صحيحاً لفتراتٍ طويلةٍ، وكان يمكن الاعتماد على تلك الأسباب وحدها لتفسير التوقيت والأهداف لاعتداءاته في كثير من الحالات.

أمّا اليوم، وبعد أن قَوِيَت شوكة فصائل المقاومة الفلسطينية، واشتد ساعد قوى "محور المقاومة" بصورة عامة، وصار للدخول في حروبٍ أو جولات تصعيدٍ مع أيّ منها تكلفةٌ يدفعها الاحتلال وجبهته الداخلية، فلم تَعُدْ تلك الأسباب وحدها كافيةً لتفسير أهداف اعتداءاته وتوقيتها. ففي نهاية المطاف، ما زال يوجد في الكيان الموقت "مؤسسة جيش" وهيئة أمن قومي وشُعْبة استخبارات عسكرية، وتلك المؤسسات يكون لها ثقلٌ وازنٌ حين اتخاذ قرار الذهاب إلى الحرب. فحال الكيان في ذلك كسائر الدول والكيانات، ويصعب على السياسيين بصورةٍ عامةٍ إقناع مؤسسات الأمن القومي بالذهاب إلى الحرب في حال عدم وجود مسوغٍ حقيقي لها، أو أنها فقط لمجرد رغبة السياسيين في تصدير أزماتهم الداخلية إلى الخارج، ولا سيما عندما يكون لتلك الحرب تكلفةٌ يمكن أن تضرّ بأمن الدولة، كما بات اليوم حال الكيان في مواجهة قوى المقاومة.

إذن، ربما تكون أزمة نتنياهو الداخلية احدى دوافع عدوان الاحتلال الأخير على غزّة، وربما يكون سعي الكيان لاسترداد قدرته الردعية بدافعٍ ذاتي أحد الأسباب أيضاً، لكن في ظل المخاطر المستجدة، والتي يمكن أن تواجه العدو في أي عدوانٍ على قوى المقاومة، يصير من الأقرب إلى الصواب البحث عن أهداف استراتيجيةٍ أو تكتيكيةٍ للعدو أكثر عمقاً من وراء عدوانه. فالتقدير الصحيح لأهداف العدوان يساعد على صياغة الطريقة الأكثر ملاءمةً لإفشاله، فماذا يريد الكيان، إذن، من وراء هذا العدوان الأخير على غزّة؟ والذي بدأه بضربةٍ قاسيةٍ في الشكل والمضمون؟ وهل كان قراره بشأن التصعيد فردياً؟

يمرّ العالم برمته حالياً في حالة إعادة رسمٍ للتوازنات بين أقطابه، أمّا منطقتنا فجاريةٌ إعادةُ رسم التوازنات فيها منذ حينٍ. وأثبتت جولات الحرب في العقدين الأخيرين بين كيان الاحتلال وقوى المقاومة الإقليمية والفلسطينية، بدءاً بحرب عام ٢٠٠٦ في لبنان، وليس انتهاءً بمعركة "سيف القدس" عام ٢٠٢١، تراجعَ قدرة جيش الاحتلال على تحقيق أهدافه من تلك الحروب، الأمر الذي حدا بالأميركي إلى محاولة تجنيب الاحتلال الدخول في معارك جديدةٍ، وذلك حمايةً له إلى حين تعديل موازين القوى، التي باتت مختلّةً في غير مصلحة الكيان الموقت، إذ كانت حرب عام ٢٠٠٦ آخر معركةٍ خاضها كيان الاحتلال بدفعٍ مباشرٍ من الأميركي، ونيابةً عنه، كما اقر بذلك إيهود أولمرت، رئيس وزراء كيان الاحتلال وقتذاك. لكن، في معركة "ثأر الأحرار"، تظهر اليد الأميركية بوضوح، فلقد جاءت عقب زيارة مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، الأخيرة لكيان الاحتلال، كما أن نتنياهو صرّح بشأن وضع الإدارة الأميركية في صورة الاعتداء الأخير على غزّة مسبّقاً، بالإضافة إلى ما قاله إيلي كوهن، وزير خارجية الاحتلال، بشأن حصول الكيان على غطاءٍ سياسي مطلقٍ من الولايات المتحدة الأميركية، هذا ناهيك عن الاتصالات التشاورية التي أجراها يوآف غالانت، وزير الحرب في حكومة الاحتلال، مع نظيره الأميركي، على نحو لا يدع مجالاً للشك في الانخراط الأميركي المباشر في هذه الجولة.

من هنا، يمكن رصد تبدُّلٍ في الموقف الأميركي تجاه إشعال كيان الاحتلال لتوتّرٍ جديدٍ في المنطقة، إذ سعى الأميركي خلال الفترة القريبة الماضية، لمنع انزلاق الأوضاع في الإقليم إلى حربٍ أخرى، بسبب انشغاله بحربه ضدّ روسيا في أوكرانيا. لكن، يبدو أن تعثُّر الأميركي في تحقيق أهدافه الاستراتيجية في الحرب الأوكرانية حتى اللحظة، والذي أدى بصورةٍ أو بأخرى إلى إضعاف قبضته على حلفائه الإقليميين، والذي بدا في بعض الخطوات التي اتخذتها السعودية – على سبيل المثال لا الحصر – حينما أعادت العلاقات مع إيران برعايةٍ صينيةٍ، جعل الأميركي يعيد النظر في توجهاته، ويغامر بدفع كيان الاحتلال إلى خوض معركةٍ جديدةٍ، مع من يظنه الحلقة الأضعف في "محور المقاومة"، أملاً في أن يرمّم الكيان الغاصب جزءاً من ردعه الذي تهشَّم، ويستعيد وظيفته التي أنشئ من أجلها، كعصاً وضابط إيقاعٍ لدول المنطقة، عسى أن يَحدّ ذلكَ زيادةَ اختلال التوازن في الإقليم لغير مصلحة الأميركي.

من خلال رصد الطريقة الجديدة في إدارة معركة "ثأر الأحرار" من جانب فصائل المقاومة الفلسطينية، بدايةً بعدم الرد الفوري على جريمة اغتيال القادة الشهداء لحركة "الجهاد الإسلامي"، والصمت المُعبِّر والذي اتبعته قبيل بدء المعركة، ودخول الفصائل موحدةً في القتال ضمن "غرفة العمليات المشتركة"، ومن خلال تقديرات المقاومة في الأشهر القليلة الماضية، بأن العدو متّجهٌ إلى شنّ عدوانٍ جديدٍ على غزّة، يَظهر أن فصائل المقاومة الفلسطينية تدرك مغزى هذه المعركة، والمدى الذي يمكن أن تصل إليه.

بالنتيجة، بناءً على ما تم طرحه لأبعاد معركة "ثأر الأحرار"، يَعتقِد الكيان الموقت أن نجاحه في تحقيق أهدافه سيؤدي إلى تعديل التوازنات الإقليمية على نحو يصبّ في مصلحته، ليس فقط في مواجهة المقاومة الفلسطينية، بل في مواجهة "محور المقاومة" عموماً، بالإضافة إلى ضرب المواجهة الاستراتيجية الدائرة في الضفّة الغربية حالياً، إذ تستمد تلك المواجهة زخمها من وجود ظهيرٍ قوي لها في غزّة، وفي دول المحور كذلك، كما يأمل الأميركي استعادة جزءٍ من هيمنته المتراجعة في الإقليم. وفي حال نجاح فصائل غزّة في إفشال أهداف هذا العدوان، فإنّها ستحقّق قفزةً إلى الأمام في مستوى تأثيرها الإقليمي، على غرار ما حقّقته في معركة "سيف القدس". لكن، في النهاية، غاب عن ذهنَي الأميركي والكيان الموقت معاً، أن وقف مسار القوس الصاعد لقوى المقاومة في المنطقة، يلزمه انتصارٌ استراتيجي للكيان في عدّة جبهاتٍ معاً، ولعل هذا ما يجعل حظوظه في تحقيق أهدافه من عدوانه الأخير محدودةً.

ربما تكون أزمة نتنياهو الداخلية إحدى دوافع عدوان الاحتلال الأخير على غزّة، وربما يكون سعي الكيان لاسترداد قدرته الردعية بدافعٍ ذاتي أحد الأسباب أيضاً

سوريا ولعبة التوازنات الإقليمية

احمد الدرزي
كاتب ومحلل سياسي

بدأت ملامح جديدة لطبيعة الصدام الإقليمي والدولي في سوريا بعد انتقال الحرب إلى أوكرانيا، ووقوف السعودية والإمارات وتركيا وإيران إلى جانب روسيا من الناحية الفعلية، وبمستويات متباينة، عسكرياً أم اقتصادياً وسياسياً، وهي بالأساس الدول الإقليمية الرئيسية التي تصادمت في الساحة السورية. وترافق ذلك مع بروز توجّهات جديدة للعملاق الصيني بعد أن أيقن بضرورة الانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم السياسي لمواجهة الغرب، ما جعل من هذا العملاق الجديد الراعي الأكبر الأكثر أماناً لكل هذه القوى الإقليمية.

تشكّلت معادلة جديدة بعد دخول الراعي الصيني، خاصةً بعد أن وصل الجميع إلى نهاية الطريق المسدود، بأنّ استمرار الصدام سيستنزف كل مقدّرات هذه الدول التي تعاني من أزمات اقتصادية متباينة المستويات، وأن هناك إمكانية للخروج من معادلة رابح-خاسر، إلى معادلة رابح-رابح، يستطيع الجميع أن يصلوا إليها من خلال إنهاء الصدام الإقليمي في سوريا، والانتقال إلى مرحلة التعاون والتنسيق فيها، كمقدّمة لبناء نظام إقليمي جديد ينسجم مع النظام الدولي الجديد متعدّد الأقطاب والسياسات والثقافات.

قرار عودة سوريا إلى الجامعة العربية، بضغط سعودي كبير على كل الدول المعترضة على ذلك، نقَلَ المنطقة إلى آفاق جديدة من العمل، فقد أصبح الجميع مدركاً بأن الصراع في سوريا يجب أن ينتهي وفقاً لمعادلات جديدة مختلفة عمّا سبق، وتقتضي اعتراف الجميع بمصالح الجميع، بما في ذلك سوريا، التي بدأت تنسج علاقات جديدة مع خصوم الأمس والأصدقاء القدامى المستمرين، والانتقال إلى مرحلة جديدة تستطيع أن تغيّر من متطلّبات المرحلة الجديدة التي لا بدّ منها على مستوى الداخل السوري.

تؤمّن العودة إلى الجامعة العربية لسوريا أوراقاً جديدة كمكاسب في المفاوضات الرباعية مع تركيا، وخاصة بعد لقاء وزراء الخارجية الأربعة في موسكو، حيث وصل وزير الخارجية السوري فيصل المقداد، متسلّحاً بموقف عربي موحّد لأوّل مرّة، يريد أمرين أساسيين، هما تحقيق الاستقرار والأمن، خاصةً على الحدود السورية، لمنع تدفّق المخدّرات إلى دول الخليج الفارسي، والثاني هو تأكيد الهوية العربية لسوريا.

وهي بذلك تخدم الموقف السوري للضغط على تركيا المحتاجة إلى السعودية ودول الخليج الفارسي الأخرى اقتصادياً لدفعها للإقرار بالواقع الجديد، بالانسحاب من مناطق الشمال السوري التي احتلتها، وتفكيك المجموعات المسلحة الموجودة هناك، إضافة إلى حاجة تركيا الشديدة للممرّ السوري نحو دول الخليج الفارسي وشمال أفريقيا، لتنشيط الاقتصاد التركي الذي يتعرّض لضغوط كبيرة. فالدور الإقليمي لسوريا الذي يحمي استمرارها يعتمد بشكل أساسي على استمرار دعم القوى المقاومة في لبنان وفلسطين، واستمرار تدفّق السلاح إلى الضفة الغربية لإنهاك "إسرائيل" داخلياً، بما يعزّز من أوراقها الضاغطة على الأميركيين ويدفع بهم لقبول الأمر الواقع باستمرار البنية السياسية الحالية.

وهي في الوقت نفسه تنظر إلى العلاقات مع السعودية والإمارات كمخرج اقتصادي وحيد للأزمة الاقتصادية، والإقرار باستمرار الواقع السياسي الحالي، وخاصةً أنها تعتبر الموقف الإيراني بمثابة صمام الأمان الوحيد لمواجهة الضغوطات الإقليمية، التي تدفع نحو تغييرات داخلية عميقة تنسجم مع مستقبل النظام الجديد الذي هو في طور التحقّق.

وهي تعوّل الآن على زيارة الرئيس بشار الأسد القريبة جداً إلى السعودية، ولقائه بالملك سلمان بن عبد العزيز، والرجل الأقوى ولي العهد محمد بن سلمان، وبدء تدفّق المساعدات، وكسر قانون العقوبات الأميركي "قيصر"، المسلّط على السوريين، وهي بهذا الأمر تستطيع العودة لتأدية دور أساسي في لبنان والعراق بالتوافق مع السعودية وإيران المتقاربتين، والدفع بتركيا لتغيير توجّهاتها السياسية والعسكرية في سوريا.

قد تنجح سوريا باستثمار مجمل التحوّلات الإقليمية لاستعادة الدور الإقليمي، وهي أمام فرص كبيرة تتيح لها النجاح بما تعمل عليه إقليمياً ودولياً. ولكن يبقى السؤال الأساسي والأهم بالنسبة للسوريين الذين ينتظرون خروجهم من الكارثة الممتدة، هل يمكن أن يتحقّق ذلك من دون تغيير جذري عميق بالبنية السياسية الداخلية التي أثبتت عجزها عن مواكبة المتغيّرات الإيجابية الكبيرة.

قرار عودة سوريا إلى الجامعة العربية، بضغط سعودي كبير على كل الدول المعترضة على ذلك، نقَلَ المنطقة إلى آفاق جديدة من العمل، فقد أصبح الجميع مدركاً بأن الصراع في سوريا يجب أن ينتهي

التحليل الإخباري

بين الضاحية وغزّة: دم واحد

ليلى عماشا
موقع العهد الإخباري

في فجر التاسع من أيار، استيقظت غزّة وكلّ العالم المقاوم على صوت الغارات التي اغتالت القادة في "الجهاد الإسلامي" وعائلاتهم ومن بينهم أمين سر المجلس العسكري جهاد غنّام وزوجته وفاء شديد. في اليوم نفسه، فُتح في الضاحية بيت لاستقبال النّهاني بالشهداء ولا سيّما الشهيدة وفاء، ابنة الضاحية.

يعيد المشهد ذاكرة عميقة جدًا ملؤها الدم، دمنا، ولا فرق إن في السجلات كان لبنانيًا أو فلسطينيًا أو سوريًا أو غيرها. فالشام كلّ الشام، كما كلّ بلاد الشرف المقاوم ذرفت من دم أحبّتها في الصراع مع الصهاينة. ولطالما كان كلّ بيت في الضاحية يتلقى نبأ الشهادة من فلسطين فتُفتح فيه القلوب للتهاني وتتبع الأعين خطوات مشيّعي الشهيد إلى مثواه. كما أنّه في كلّ مرّة شنّ فيها العدوّ عدوانًا على غزّة، كانت الضاحية تستعيد تموزها مشهدًا تلو مشهد، وتستذكر مع كلّ مجزرة يرتكبها الصهاينة في غزّة تحديدًا مجازر تمّوز كلّها وكلّ ما عرفته الضاحية وأهلها من جراح.

دم الشهيدة وفاء شديد غنّام جسّد مشاعر الضاحية ورابطتها بغزّة على هيئة بيت يُفتح لتقبّل التهاني بشهيدته التي ارتقت في غزّة، يودّعها من هنا، من خلف الحدود الزائلة ولو بعد حين. يحضر أحبّة العائلة وجيرانهم، كأنّهم اتجهوا ناحية غزّة بواجب تبريك. ولا فرق بين العنوانين في أداء الواجب، فالبيتان بيت واحد يجمع غزّة المحاصرة الأبيّة وضاحية الحب التي تعرف جيّدًا رائحة الغارات وما تخلّفه في ركام البيوت وجدران القلوب.

يتخيّل المرء سيناريوهات كثيرة سبقت ذهاب وفاء إلى غزّة زوجة لقياديّ مقاوم. وفي كلّها، رأينا بيتًا يعرف جيّدًا أن المقاومة في كلّ مكان هي عزّ وفخر، وأن لا خوف على ابنته من الزواج والعيش في القطاع الذي حوّله الاحتلال إلى سجن كبير، فكلّ أرضنا سجن حتى يزول الاحتلال، وكلّها ميدان حرب واحدة، وحيثما عاش أو ارتقى المرء فيها، يعش مقاومًا ويرتقِ شهيدًا. ورأينا بيتًا يباهي الدنيا بحزنه الأبيّ، يعتزّ بدمه المرفوع إلى السماء مظلومًا شهيدًا، ويقول للعالم كلّه إن هنا في الضاحية بيتًا نصفه في غزّة، وفي فلسطين فلذة روحه وكبده، وفاء.

منذ ما قبل "سيف القدس" إلى ما بعد "ثأر الأحرار"، غزّة والضاحية توأما قتال يعرف جيّدًا كيف يؤلم عدوّه، وإن عزّ على أهل الضاحية أنّ بيوتهم في هذه المعركة آمنة وبيوت الغزاويين مهدّدة بالغارات وبالقصف. بالأمس، حين أشرقت شموس الصواريخ التي مرّغت أنف كيان الاحتلال بالأرض، وبلغت "تلّ أبيب" وشلّت المستوطنين على امتداد الأرض المحتلّة، كان أهل الضاحية يحيون اللّيل حبًّا ودعاءً، قلوبهم مع أطفال فلسطين، كقلوب الأهل إذا أوجعتها اللهفة لاحتضان طفلها البعيد، وعيونهم على السماء التي زُرعت بنجوم صاروخية تقارع الاحتلال وتهزمه حتى قبل أن تصل. وكانت وفاء، ابنة لحمهم ودمهم، وتصير فصلًا جديدًا من تاريخ يوغل في الزمان، تاريخ عنوانه دم واحد.